بما وراء نحوتهم من الفوائد الجنّة والمنافع المالية. حقّق الله الآمال فانّهُ على كلّ شيء قدير

عفوٌ في سخاء

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

١

. . . . . .

واذ كانت تتململ على فراشها وتار الحمّى تضطرم في احشائها دخلَ عليها رجلٌ كانّ الارض انشقّت فابرزتهُ من المناور الجهنميّة قد فارَ قارهُ وهاجَ هائجهُ. فحملق اليها بعينين تتوقّدان نارًا. فعرفت حنّة انّهُ مالكٌ بيتها. امّا هو فابتدرها بالسبّ والشتيمة قائلًا:

— الى مَ أُطيل اناتي عليكِ يا شقيّة وحتّامَ تهتضمين حقوق الناس ؟

فاجابت: سكّن الجأش مولاي. ألا تراني طريحة الفراش قد امضّتني الادواء ؟

— كفاكِ تروغين وروغان الثعبان. لا تتوهّمي انّ تمارُضكِ يجديكِ نفعًا. عليك بدفع كراء البيت والّا فاني طاردكِ لا محالة

— مهلًا الى المساء علّ ولدي يوسف يعود من بيروت بدراهم

— حسبكِ تسويف الى الآن. فلقد طالما وعدتِ وما انجزتِ

— ولكن . . .

— ادفعي ما عليكِ والّا فأرض الله واسعة

— رحماكَ سيدي انّ الشمس مالت الى الغروب. أفأبيت في القفر ؟

— بيتي في جهنّم واذهبي مع الابالسة

قال ابراهيم هذا واخذ يركلها برجلهِ حتى ادّاها الى خارج البيت فوقعت على جانب الطريق مغشيًّا عليها من الألم. وانصرف ذلك الرجل القاسي وهو يبرق ويرعد على الارملة التعيسة

٢

وكان خليل بعل حنّة اشتهر بفضلهِ وتقواه في قرية ح. توفّي من بضع سنوات

ولم يترك لزوجته الّا يسيرًا من المال. فاعتصمت بحبل الصبر وجعلت تكدّ وتتعب جادّةً وراء ما يقوم بمعيشة ولدها صارفةً عنايتها في تخريجهِ في الادب والتقوى. فشبَّ يوسف ونشأ على المبادئ القويمة تنمو فضيلتهُ مع نموّ جسمهِ حتى شرع في معاضدة والدتهِ يساندها في اتعابها ويخفّف عن عاتقها ثقل العناء.

على انَّ الدهر لم يكن ليتغافل عن انسان فما كاد يفترّ لها ثغرًا حتى غادرها كالحَ الوجه. فانَّهُ ما بلغ يوسف السابعة عشرة من عمرهِ الّا واعترى امهُ مرض عُضال الزمها الفراش واقعدها عن العمل. فلم يبقَ الّا ولدها ليقوم بواودها فكان يبتدر كل صباح الى بيروت فيشتغل تحت ادارة نجّار ويعود المساء حاملًا لامهِ ما استطاعهُ من الرزق ولذلك نجد تلك المرأة في ضيق ليس بيدها ما بهِ تسدُّ فمَ ذاك اللئيم

٣

وكان الليل قد نشر اجنحته فافاقت حنَّة من غشيانها وادارت الطرف حولها فاذا هي في بيتها وابنها يوسف جاثٍ امامها تتنازع فؤاده الاحزان وعيناه مغرورقتان بالدموع. فصاحت: بُنيَّ بنيَّ. فاكبَّ على رأسها وقبّلها قائلًا: « ما اعتب هذه الحال منك يا اماه ». فقالت: « جور اللئام يا بنيَّ ». واخبرتهُ بالقصّة. فتضرّم عندئذٍ قلب يوسف غيظًا وصاح: « وحقّ حبّك لأهدرنَّ دَمهُ ». وعمدَ الى مديةٍ واراد الخروج. فردعتهُ منادية

— عُد ولدي. لا يجدر بالمسيحيّ الانتقام من احدٍ

— انّما حُرّمَ الثأرُ من الناس. وما هذا الّا ضارٍ قُدّكبده منَ الجلاميد

— اتركني بنيَّ. ليس الوقت للانتقام الساعة. كفاني ما قاسيتهُ من هذا الرجل. فانهُ اجهز عليَّ وقرّب مني ساعة الحتف... او اه افتزيد وبالي وبالًا بان اراك تتخطّى سنّة الله حاقدًا منتقمًا... اذهب ولدي وأتني بالاب مبارك فاني اشعر بالروح مني قد قاربت الاجل

وعتيب تزوّدها الزاد الاخير زاد الابرار التفتت الى يوسف واوصتهُ بان يتشبّث باهداب تقوى الله ومحبتهِ ثم استحلفتهُ ان يعفو عمّن ادنى اليها وقت الممات. وكانت اذ ذاك صورة المصلوب بين يديها فقالت لابنها مشيرة اليها: احفظها بعد موتي ذخيرةً من امّك واذا ما أُوغرَ صدرك حنقًا على عدوّك فاذكر كلام المصلوب القائل: « ابتي اغفر لهم لانّهم لا يدرون ما يعملون ». ثم قضت نحبها مترنّمةً باسم يسوع ومريم

٤

مضت على تلك الوفاة عشر سنوات كان يوسف في اثنائها قد حذق حرفة التجارة ونأى عن البلاد السوريّة واتى عاصمة مصر حيث جمع من المال قسماً ليس بيسير

على انّ المحن اذا ما دهمت قلب امرئٍ مسترسلٍ الى ارادة الله من شأنها ان توطّد دعائم الفضيلة. وذاك يوسفنا كان مع ما هو عليهِ من خفض العيش مثابراً على القيام بواجباتهِ الدينيّة محافظاً على وصية امهِ فامسك الله بيده ووفقهُ الى ما يؤول الى سعده

فبينما كان عشية يوم في اواخر آب سائرًا على طريق الجزيرة بالقرب من نهر النيل ترويحاً للنفس من مهامّ اعمالهِ اذ رأى رجلًا على الشاطئ قد طوّق عنقه بطرف حبل وربط حجرًا ثقيلًا بالطرف الآخر وهو يتأهّب للوثوب الى النهر والنيل اذ ذاك في اوان فيضانهِ. الّا انّ يوسف لم يلبث ان عرف كنه مقاصدهِ الوخيمة وما كان الّا كلمح البصر حتى هجم عليهِ وجرّهُ قهرًا الى جانب الطريق بعيدًا عن هوّة الهلاك. فتفرّس فيهِ فاذا هو رجل يناهزُ الاربعين الّا انّ انياب الضرّ قد خلّفت على ملامحهِ آثارها فهو مهزول شاحب اللون عليهِ امارات اليأس. ولمّا جذبهُ اليهِ يوسف كانت اخذتهُ دهشة شديدة عقلت لسانهُ عن الكلام ولكن عادَ من دهشته اذ حدّد فيهِ البصر منقذه فصاح: « دعني يا هذا فلا بُدّ ان اسلّم روحي الى الهلاك فيفنى معها عيشٌ نسجتهُ النكبات ». واسرعَ عائدًا الى النهر. فانقضّ عليهِ يوسف بيده والزمهُ مكانهُ قائلًا:

— اردعوِ يا اخي. ألا تعلم انّ نوائب الدنيا لا يعقبها في الآخرة لاهل اليأس الّا ما هو شرٌّ منها ؟ ألا ترهب ناراً لن يُطفأ سعيرها ؟ ثق بالله فانّ رحمتهُ عظيمة

— ليس من سبيل لرحمة الله الى من لم يرحم عباده. فاني طالما . . .

— انّ التوبة تُمهّد لرحمة الربّ سبيلًا

وجعل يوسف يلاطفهُ ويعظهُ حتى لان قلبهُ فانقاد الى نصائحه ورضي بان يؤوب معهُ الى المدينة. وبينما هما سائران قصّ الرجل على يوسف قصته فعلمَ انهُ لبناني المنشأ برح الوطن طمعاً بالاصفر الرنّان لكنهُ حبطت مساعيه فكانت الدراهم تذهب عيونها منهُ يوماً فيوماً حتى صفرت راحتهُ ولم يبقَ لهُ ما يسدّ بهِ رمق اطفالهِ فآل بهِ ذلك الى ما آل. فسألهُ يوسف. ومن اي ناحية من لبنان انت ؟

— فاجابه: من قرية ح.

— أفلا تعرف احداً من مواطنيك يعينك على الفقر؟

— سمعت انَّ نجّاراً من ح. يُدعى يوسف قد اتى مصر. وهو مُكثر مُوسر. ويُمكنهُ الاخذ بيدي. غير اني لا يسعني التماس عضده

— ولِمَ؟

— قد اسأتُ المعاملة الى امه

فما سمع ذلك يوسف الّا شعر بلهيب نار يسعر في قلبه وصاح: « ويلك يا قاتل امي » وهمَّ بقتله خنقاً...

ولكنَّ يداً خفيّةً اوقفت باعه وكأنهُ سمع صوتاً سرياً يردّد عليهِ القول: « ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون »... فاطرق الى الارض هنيهة ثم قال: « اني عفوت عنك كما عفت امي »

قال هذا وابرز لهُ ريالاً من جيبهِ قائلاً: « خذ هذا وسدّ بهِ رمقك وعد اليَّ غداً فاتكفّل بامرك »

واذ ذاك شاهدت امّ يوسف في نعيم الابرار ملاكاً يخلّد في سفر الله جزاء جود المحسن اجراً وجزاء عفوه عن عدوّه اجرين

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لحضرة المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي (تابع لما سبق)

(وصف الايوان) وقد وصف ما بقي من هذا الايوان جماعة من روّاد وسيّاح الافرنج في القرن الثامن عشر منهم بياترو دلّا فالّا المار ذكرهُ قال ما معرَّبهُ: « كان هذا القصر في موطنٍ يُوافق احسن الموافقة لقبول الملوك الاشكانيين الذين كانوا يجيئون من تلك الاصقاع. فاعلم اذن يا هذا ان ايوان كسرى هو الايوان الذي سمّاهُ بعض الكتبة زوراً « طاق سليمان بك » (١ لمجاورة قبر هذا الوليّ لذلك الايوان الشهير

١) وفي الاصل سليمان بك Soliman - bey وهو خطأ. ومعنى سلمان پاك: سلمان الطاهر